المسرح في المدن المحررة .. وتمثلات الارهاب في عرض الصومعة

د. محمد اسماعيل الطائي
كلية الفنون الجميلة/ جامعة الموصل

يتناول البحث ظاهرة الارهاب في العروض المسرحية التي قدمت في المدن المحررة وتحديداً في مدينة (الموصل) المدينة التي عانت من الفعل الارهابي بجميع اسلحته المادية والفكرية لطمس الهوية الانسانية والثقافية والحضارية لهذه المدينة ، إن اغلب العروض المسرحية التي قدمت في الموصل سادت موضوعاتها ومعالجاتها (فعل الارهاب) الذي خيم على المدينة لعدة سنوات ، والإرهاب شأنه شأن المعاصرة ذاتها صار قدر الانسان ، وهو عمل عنيف يقصد به احداث تأثير عام موجه ضد افراد ومؤسسات الدولة وهو ما حدث فعلاً في مدينة الموصل.

يتضمن البحث ثلاثة فصول ، الاول تناول (أهمية البحث ومشكلته وهدفه وتحديد المصطلحات) ، أما الفصل الثاني فيركز على (الارهاب في المسرح والمسرح في المدن المحررة ، وأهم العروض والمهرجانات التي تلت تحرير الموصل) والفصل الثالث يتناول اجراءات البحث (المجتمع والعينة وأداة البحث وأسلوبه) وكانت عينة البحث مونودراما (الصومعة) كأبرز مثال للإرهاب وفعله التي قدمت في الموصل واسطنبول وهي من تأليف وإخراج محمد اسماعيل ، تتحدث عن فنان اختار البقاء في مدينة الموصل ومحاصرته من قبل قوى الظلام والموت حتى لحظة التحرير والآثار التي لحقت بالمجتمع من خلال الحرب ، وحاول البحث الاجابة عن التساؤل: هل تمثل الارهاب في عرض الصومعة ؟

الفصل الأول

الاطار المنهجي

مشكلة البحث:

فرض الارهاب نفسه على الحياة برمتها ، لذا فمن الطبيعي ان يؤثر الارهاب على المسرح بشكل مباشر وغير مباشر ، لأن المسرح يستجيب للمتغيرات السياسية والاجتماعية ، وهو الوعاء الحاضن لها والمتفاعل مع الطارئ والجديد على مستوى المضامين والمعالجات الاخراجية والرؤى بجمالية ، وفي نفس اللحظة المسرح يتصدى لهذه الظاهرة على صعيد الكتابة ولغة العرض المسرحي لاسيما انه استمد تمظهراته من (تاريخ ومسرح القسوة) ، وقد حفل المسرح العراقي بظاهرة الارهاب في اغلب عروضه في العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين على صعيد الكتابة ولغة العرض ، حتى افتتح مهرجان مسرحي تتناول عروضه ظاهرة الارهاب في المسرح العراقي.

وامتد تأثير الارهاب الى جميع المحافظات العراقية واغلب المؤلفين الدراميين وكل المخرجين العراقيين حاولوا تسليط الضوء على هذه الظاهرة التي هيمنت على الرؤى والمعالجات الفنية والجمالية ، والموصل إحدى المدن العراقية التي وقع عليها الارهاب بكل اشكاله وأفعاله ولم يبقِ منها أثر فني او حضاري ، وحاول فنانو المدينة بعد أن نالت حريتها كشف وتعرية الارهاب المادي والمعنوي من خلال العروض التي قدمت بعد التحرير ، فهل استطاعت لغة العرض أن ترقى الى مستوى الفعل الارهابي الذي لم يبقِ حجر او بشر ، وما هي تمثلاته في عرض الصومعة ؟

أهمية البحث:

لعل اهمية البحث تكمن في فضح لغة الارهاب في العروض المسرحية في مدينة الموصل ، وضرورة نقل ما جرى الى العراق والعالم من خلال العروض التي سلطت الضوء على الارهاب سواء كان مادي او معنوي.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث الى الكشف عن تمثلات الارهاب في العرض المسرحي (الصومعة).

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي في العرض المونودرامي (الصومعة) التي عرضت ضمن مهرجان الوجه الاخر لفوضى منتظمة للفنون في اسطنبول يوم ٢٠١٩/٨/٢٠ وهو من تأليف وإخراج محمد اسماعيل.

تحديد المصطلحات:

الارهاب: الاستخدام غير الشرعي للقوة او العنف او التهديد باستخدامها بقصد تحقيق اهداف سياسية. (حسنين ، ص ٩٧).

ويعرفه تشومسكي بأنه: القتل الغاشم للمدنيين الابرياء هو ارهاب وليس حرباً على الارهاب. (عزيز ، ص ٩٦).

الارهاب: فعل عنيف الغاية منه احداث تأثير عام او موجة عامة ضد الدولة او مؤسساتها ، وقد تكون موجة ضد شرائح محددة من السكان تتمثل في الحاق الاذى لا بضحايا من الرئيسة وإنما بمن يساندهم ايضا. (سخوس ، ص ٦٣).

التعريف الاجرائي: توظيف عنصر الارهاب في الكتابة والعرض المسرحي ومدى تأثيرها في المتلقي.

الفصل الثاني
الاطار النظري

المسرح والإرهاب:

الارهاب في اللغة العربية من الفعل (رهَبَ ، يرهب ، رهبة) أي خاف ورهبه أي أخافهُ ، والرهبة هي الخوف والفزع ، وهو خائف من الله أي خائف من عقابه ، وترهبه أي توعده. (ابن منظور ، ص ٢٠٦٤)

وفي القرآن الكريم ينصرف معنى الارهاب الى ما ورد في الايات القرآنية التي تأتي بمعنى الفزع والخوف والخشية ، ففي قوله تعالى: ((وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون)) (سورة البقرة: الاية: ٤٠) وكثيرة الايات القرآنية التي اشارت الى الارهاب ودلالاته ومعناه، أما الارهاب في اللغات الاخرى فقد جاء بمعنى (الرعب) أي خوفاً او قلقاً متناهياً او تهديد غير مألوف وغير متوقع.

علاقة المسرح بالإرهاب:

شكلّ المسرح الحضور الفاعل في الحضارات العالمية ، فهو المتنفس الثقافي والمعرفي للمجتمع ، فالطقوس الدينية والاحتفالات والمراسيم والطرق التمثيلية في تقديم القرابين للآلهة والاحتفال بهم التي حصلت في الحضارة اليونانية هي نفسها في الحضارة البابلية والفرعونية. من هنا تأتي اهمية المسرح في الكشف عن خلجات ومشاعر الانسان بكل اشكاله وأطيافه، وهو تعبير عن القيم والمعاني والأفعال الانسانية ، ويحقق الابدية للكينونة والإنسانية ، فالمسرح يتطرق لجميع الافعال ايجابية او سلبية ومن تلك الافعال التي اجتاحت الانسان منذ القدم ومازالت تمارس انتهاك القيم الانسانية هو فعل الارهاب (الطيب ، ص ٣).

فالإرهاب اقترن بالمسرح منذ البدء ، بوصفه خوفاً وفزعاً وانتهاكاً ، وقد تناوله المسرح وأدانه بأشكاله المختلفة ، فهو المتصدي والمدافع لإرساء الفضيلة والقيم الانسانية العليا.

ولو استعرضنا مسيرة المسرح وعلاقته بالإرهاب منذ بدء مسيرته على صعيد النص والعرض نستطيع ان نؤشر الى اقتران المسرح بالإرهاب بدءاً بالإغريق ومؤلفيه ، فأول كاتب مسرحي تناول الارهاب في المسرح هو ا(يوريبيدبيدس) في مسرحيته (نساء طروادة) التي تحدثت

عن سبي النساء الاسيرات والإرهاب الذي مورس بحقهن ، (فيوريبيدس) استثمر موضوعة الارهاب وإدانته من قبل المسرح.

واستمرت علاقة المسرح بالإرهاب في العصور التي تلت ، وأبرز الامثلة على ذلك هو (شكسبير) في اغلب مسرحياته ادانة واضحة وجلية للإرهاب ودعوة للفضيلة والحب والأمان، ففي مسرحية (ماكبث) هذا الارهابي النزعة بحبه للسلطة وغدره وقتله الملك (دنكان) هو وزوجته (الليدي ماكبث) فهو يسعى الى السلطة بكل الوسائل والطرق ، لكنه أدرك فيما بعد ان جل ما يسعى اليه الانسان هو فضيلة الامان في قوله: (ليس العبرة في ان تكون ملكاً بل العبرة في ان تكون اميناً)، وشكسبير يسعى لترسيخ هذه الخاصية وهي عكس الارهاب حيث الفزع والخوف.

وكذلك في مسرحية (تاجر البندقية) فـ (شايلوك) يحاول ارهاب (انطونيو) والمجتمع بأسره وهو يروم استرجاع قرضه من (انطونيو) بناء على الاتفاق السابق بينهم ، لكن روح التسامح والمحبة هي التي غلبت في نهاية المسرحية.

اما مسرحيته الاخرى فهي (روميو وجولييت) التي طغت فيها المحبة والتضحية والإيثار على كل انواع الكره والبغض والعداوة والكراهية ، فكانت هذه المسرحية عنواناً للمحبة والأمان وظلت هذه المسرحية (تعرض) في جميع المجتمعات الانسانية وقدمت بأشكال وطرق متعددة كلها تحارب وتتصدى للإرهاب بكل انواعه. (الطيب ، ص ٢)

وبما ان المسرحيين كانوا على الدوام من ضحايا الارهاب الذي استهدف حياتهم ورؤاهم الفنية والفكرية والإنسانية بما تعرضوا له من قتل وتشريد ومحاكمات جائرة وحرق مكتباتهم ، ورواد المسرح السياسي والملحمي مثل (بسكاتور وبرشت) الذين تعرضوا الى اكبر حملة للإرهاب الفكري من قبل النازيين ، لكنهم كانوا ضد الارهاب واصطفوا مع ضحايا الارهاب السياسي والاقتصادي والفكري مما جعلهم يوظفوا تقنيات مبتكرة في العرض المسرحي نحاول تسليط الضوء على ابرز معالجاتهم ورؤاهم الاخراجية.

بسكاتور: ادخل الافلام والصور واللافتات والمجاميع البشرية التي تنادي بالحقوق وتطالب بالسلام والأمان للشعوب ، فقد أقحم في عروضه عناصر خارجة عن حدود المسرح، فاللوحات الخاصة التي اقيمت عليها مونتاج فيلمية حيث تشاهد عبر شاشة السينما مقاطع من الافلام الوثائقية والتسجيلية وبيانات احصائية ليوثق الوضع الذي يتحدث عنه عن الموقف المسرحي سواء كان سياسياً ام اقتصادياً امظاهرة اجتماعية ليؤكد فكرته العامة يريد لها بسكاتور النفاذ الى عقول المتفرجين وأرواحهم. (باربار ، ص ٣٧)

ان الارهـاب بكـل اشـكاله ولـدّ لـدى بسـكاتور نظامـاً مبتكـراً يختلـف عـن الاسـاليب والمعالجات الاخراجية التي سبقته ، فقد استفاد من الالات المعقدة والأنوار الكاشفة ومكبرات الصوت وآلات الضجيج وتحول الممثل عنده الى (رجل آلي روبوتوكي بنيوي). (حمداوي ، ص ٧٣)

فالمآسي الكبيرة بحاجة الى لغة عرض كبيرة تحتويها ، فبيسكاتور يعد العروض الضخمة على شكل مونتاج خصص لخطابات فعلية ومقالات وبيانات وصور فوتوغرافية وأفلام وثائقية يعود تاريخها الى فترات الحروب واشتعال الثورات. (باربار ، ص ٣٥)

برشت: الذي تعرض الى الارهاب الفني والفكري فتمرد على الاعراف المسرحية لاسيما اختياراته التعبيرية الاولى التي كانت هي الصيحة الاولى في الادب والرسم والسينما والمسرح ضد طغيان السلاح والإرهاب ، تميزت مسرحيات برشت (بغياب الديكورات التقليدية واستخدام الاغراض الواقعية التي تبرز علاقة الانسان بالواقع الذي يدعو الى تغييره عن طريق توعية الجمهور وإشراكهم في الحدث المسرحي من خلال ارائهم ، ووظف في مسرحه الملحمي تقنيات اخراجية جديدة ، كاللافتات والشعارات المكتوبة والسينما لعرض مشاهد توهم بأنها واقعية صورت على الطبيعة كتسجيل قسوة وهمجية الحكم النازي). فالإرهاب الفكري يعيق الفنان عن التعبير عن آرائه في الحياة. (حمداوي ، ص ٦٠)

فالتعبيرية اصطفت الى جانب الشعوب لتدافع عنها في المضمون الفكري والعرض المسرحي ، ابتكر برشت فلسفة التغريب وكسر الايهام ليكشف للمتلقي حقيقته ويضعه وجهاً لوجه امام مصيره ، كذلك استخدم تقنية البناء الملحمي كمشاهد منفصلة وأفات وقطع الحدث والتركيز على الارضية الاجتماعية التي يتحرك فيها والتركيز على ملامح الشخصية التي يعرضها على خشبة المسرح مستعيناً بمقومات ارسطية في هذا البناء. (سنحوس ، ص ١٠٥).

جوزيف شاينا: اعتقلته النازية لخمس سنوات وظهرت في عروضه اثار السجن والتعذيب الذي تعرض له مجسداً ذلك في افكاره المسرحية وصوره الاخراجية ، فالإرهاب الذي تعرض له أثر في وعيه وفي اختيارات مفردات العرض المسرحي فهو يرسم الاحداث فوق الخشبة ويضم في مرحلة التشكيل ، الاصوات ، الممثل وكيانه الذاتي في وظيفته الفنية كمخرج للعرض المسرحي. (اوجست ، ص ٢٦٩)

حاول الفنانون الانفلات من النظم التعسفية والدكتاتورية والايديولوجية ومن القيود وبحثوا عن منابع جديدة للرؤية مثل (كروتوف كي ، شاينا ، كاثور).

فشاينا مزج بين لغة الفن التشكيلي ولغة العرض المسرحي واقترح السرد المسرحي وهو السرد مع تفاعلاته بالقيم التشكيلية المعاصرة ، مستنداً الى التعبير ولأنها تعبر عن الانسان ومعاناته تحت ظل الارهاب الفكري الدكتاتوري وصار العرض المسرحي رؤية بلاستيكية تشكيلية خالصة وارتكز على معدات جمالية تهدف الى الثورة على منظومات الاستبداد والقهر الفني الذي عاشته الاجيال بوحدانية الاعراف الجمالية.

فالمنظور الجمالي الذي ابتكره (شاينا) هو خلاصة لوعي تاريخي كبير يجمع الجماليات والسياسة والوعي بضرورة التحول والانتقال من مدرسة فنية الى اخرى لضرورات حرية الفكر والتعبير. (العذاري ، ص ٢٩).

ان اشتغالات منهج السرد الصوري انعكس بشكل مباشر على كافة عناصر العرض المسرحي المرئية والسمعية والحركية ، وأصبح لكل عنصر من عناصر الاخراج وظيفة مستقلة بذاتها ، ان تجربة شبابنا عبرت افضل تعبير عن رفض الارهاب الفكري في جانبه الحسي والجمالي.

اما في المسرح العراقي الذي حفل بكل انواع الارهاب منذ تأسيس المسرح حتى يومنا هذا ، لقد تناول المسرحيون موضوعة الارهاب بأشكال وصور متعددة خاصة في العقود الاربعة الاخيرة ، أي منذ الحرب العراقية الايرانية ليعبروا عن مدى الخوف والذعر والدمار الذي يعيشه المجتمع العراقي ، ولا يمكن للباحث حصر كل النصوص والعروض التي تناولت الارهاب في هذا البحث ، لكن يمكن اجمال الثيم والمضامين للنصوص التي تناولت الارهاب ما بين التعبير عن مدى الخوف من الارهاب الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي حل في العراق ، وإدانة الخوف والرعب والإرهاب الذي مارسته الدولة بحق مواطنيها ، وبعض المسرحيات تناولت الارهاب الحقيقي للسلطة الحاكمة او الرعب والخوف الذي مارسته الاجهزة الامنية السابقة. (الكفالة ، الى اشعار اخر ساعي البريد– لعبد الكريم السوداني وإخراج سامي عبد الحميد) وفي مسرحيات اخرى تطرقت المضامين للإرهاب الذي حل في العراق وبحثهم الدائم عن الامن والأمان كما في مسرحية (اضغاث احلام– لسامي عبد الحميد) (الطيب ، ص ٣).

وبعض العروض ادانت الارهاب ومظاهره القادم من السلطة او الغربة وحتى الارهاب القادم من المجهول مثل (غربة سلامي عبد الحميد).

وتأثيرات الارهاب المميتة في الحياة العراقية وجعل الارهاب العدو المشترك لكل الشعوب وجميع المجتمعات ، وتناولت مسرحيات اخرى حجم الخوف والإرهاب الذي يمارسه العراقيون

بعضهم لبعض من خلال الشخصيات الدينية المتطرفة (احلام كارتون لكريم شغيدل– اخراج جواد الاسدي) (الطيب ، ص ٤)

ومسرحيات تعرضت للآثار التي لحقت بالمجتمع العراقي من خلال الارهاب والتفجيرات التي تحصل والتطرف الديني والسياسي والاجتماعي لاسيما بعد احتلال العراق عام (٢٠٠٣) وما بعدها.

حتى بات الواحد منا يتساءل هل التطرف يخلق الارهاب ام الارهاب يخلق التطرف ؟ وأخيراً لقد دعا المؤلف علي عبد النبي الزيدي في (مسرحية موسى) من الله ان يخلص العراق من الارهاب.

المسرح في الموصل .. بعد التحرير:

اذا كان العراق قد عانى من الارهاب في العقود الماضية ، وانعكس ذلك على الخطاب الفني والثقافي برمته ، لأن المسرح هو الناقل الرئيس لهموم وأوجاع الشعب والدور الذي يلعبه المسرح في قراءة الخطاب الانساني وتوضيح الاثار الحقيقية التي تبينه اثر التطرف والإرهاب على المجتمع ، والموصل المدينة التي انطلق منها المسرح وانتشر في عموم العراق منذ ١٨٨٠ واستمر بالتأثير والتصاعد والنمو الى ثمانينات القرن الماضي حين تأسس معهد الفنون الجميلة وتبعه بعد عقد من الزمان تأسيس كلية الفنون الجميلة في عام ١٩٩٤ وفيما بعد معهد الفنون الجميلة/ بنات وانتشرت الفرق المسرحية والمؤسسات والنشاطات والمهرجانات المسرحية داخل وخارج العراق ، لكن في عام ٢٠١٤ توقف فجأة كل شيء بدخول داعش الارهابي الى الموصل مع طغيان التخلف المنحط اخلاقيا وقيمياً وإنسانياً وفقد المتثقف والفنان كيانه الفني والإنساني تحت وطأة الخوف وفقد الامن والأمان حيث اصبحت هويته وثيقة ادانة وأصبح فنه وسيلة اثبات على الجريمة يساق بموجبها الى المقصلة لأنها تعني الفكرة الانسانية والحضارة وهم لا يملكون شيئاً فحاربوا الفن والثقافة وناصبوها العداء خوفاً منها ووجلاً وتحسباً.

كان الفنان في هذه الفترة المظلمة يحوم الموت من حوله ينتظره ليقوده الى قطع الرقاب أو الزج به في (الخسفة) وكان الخوف والذعر والاضطراب من طرقة الباب او همسة الشباك او الرعب من اللاشيء الذي انتاب الفنان ليس خوفاً على روحه إنما على منجزه الفني الذي افنى عمره وهو يجمعه (كلمة كلمة ولوحة لوحة ولحن بعد لحن وقصيدة قصيدة) فكان الفنان يخاف

أن تحرق كلها بمجرد قدحة كبريت لا تبقي ولا تذر فخوف المثقف مضاعف يخاف على حياته وحياة اهله ويخشى على نتاجه الفني والثقافي المرهون بغضب (الحسبة او تقرير الخسة).

وما ان تحررت الموصل من الارهاب وعادت الحياة مرة اخرى الى سابق ايقاعها ونبضها والتحمت بالمشهد الفني والثقافي العراقي وهي جزء لا يتجزأ من النسيج الثقافي والحضاري للعراق ، عادت الثقافة والفنون لتحتل واجهة الاهتمام والرعاية ، فانطلقت العروض المسرحية والمهرجانات الفنية وتأسست مجموعة من الفرق المسرحية الجديدة. وقدمت العديد من المهرجانات المسرحية التي تلت التحرير (الجدول٢) سواء في المؤسسات الرسمية مثل (الكلية ومعهد الفنون) او التجمعات الفنية الجديدة ، وأول عرض مسرحي قدم بعد التحرير هو (عهد الاخوة) لمؤلفه محمد بري العواني وإخراج محمد اسماعيل بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٦ هذا العرض الذي اضاء شمعة في وسط العمق الموحش والمظلم بعد ان توقفت الخشبة وتمزق الستار المسرحي في الموصل عاد المسرح اليوم ليتوهج من جديد في مسرحية (عهد الاخوة) ليعلن فريق العمل ومخرجه عن تخليص الفن وتحريره من عبء الحياة الثقيل الذي جثم على حياتهم لثلاث سنوات.

كانت فكرة العرض تدعو بشكل مباشر فسيفساء النسيج الاجتماعي الموصلي الذي هو جزء من المجتمع العراقي .. الى لملمة جراح المدينة والانطلاق نحو غد مشرق افضل .. ان تقديم هكذا عرض وبهذه الرسالة وبتوقيت وظرف صعب لا يخفى للجميع يحسب للمخرج وفريقه. (السنجري ، ص ؟؟)

ولابد للباحث من التطرق الى أهم العروض المسرحية التي حملت ثيمها ومضامينها ومعالجاتها الاخراجية الارهاب وما خلفه على الحياة من خوف ورعب ومن هذه العروض:

جدول رقم (١)

ت	المسرحية	المؤلف	المخرج	الفرقة
١	تذاكر ومسافرون	ظافر صباح	ظافر صباح	معهد الفنون الجميلة
٢	سيلفي	محمد اسماعيل	محمد اسماعيل	كلية الفنون الجميلة
٣	الشوط السابع	بيات مرعي	بيات مرعي	فرقة علامات المسرحية
٤	الى اشعار اخر	ابراهيم كولان	د. نشأت مبارك	فرقة مسرح قره قوش
٥	الصومعة	محمد اسماعيل	محمد اسماعيل	كلية الفنون الجميلة
٦	اللوحة الاخيرة	محمد اسماعيل	محمد اسماعيل	كلية الفنون الجميلة

جدول رقم (٢)

المهرجانات المسرحية التي قدمت في الموصل بعد التحرير

ت	اسم المهرجان	الجهة	عدد العروض	السنة
١	مهرجان المونودراما الاول	مجموعة نور للمهرجانات والمؤتمرات	٦	٢٠١٨
٢	مهرجان الشارع الاول	مجموعة نور للمهرجانات والمؤتمرات	٥	٢٠١٨
٣	مهرجان المونودراما الثاني	مجموعة نور للمهرجانات والمؤتمرات	١٠	٢٠١٩
٤	مهرجان الشارع الثاني	مجموعة نور للمهرجانات والمؤتمرات	٧	٢٠١٩
٥	مهرجان قسم الفنون المسرحية/ كلية الفنون الجميلة	كلية الفنون الجميلة	٥	٢٠١٩
٦	مهرجان قسم التربية الفنية العاشر/كلية الفنون الجميلة	كلية الفنون الجميلة	٥	٢٠١٩

قدمت مسرحية (تذاكر ومسافرون) للفنان ظافر صباح على انقاض معهد الفنون الجميلة وهي مسرحية تعبيرية تعتمد على التشكيلات الجسدية الصامتة او ما يسمى (بالعرض الجسدي) وهي تتحدث عن حجم الدمار الذي خلفه الارهاب في المؤسسات الفنية بحرقها وهدمها وبعثرة محتوياتها عبر مجموعتين إحداهما تمثل الفنانين بمختلف اختصاصاتهم وارتدت الزي (الابيض) والثانية مجموعة الارهاب وقد ارتدت (السواد) وتنتهي بانتصار الفن والفكر على قوى التخلف والجهل والإرهاب.

أما مسرحية (سيلفي) تأليف وإخراج محمد اسماعيل فتناولت ازمة ومحنة الفنان والمثقف في زمن الارهاب وتسلط قوى التطرف والظلام على مدينة الموصل ، ومعاناة شريحة المثقفين من هيمنة الفكر الارهابي المادي والمعنوي ، قدم العرض ضمن مهرجان المونودراما الاول في ٢٠١٨/١٠/٩.

وقدم المخرج والمؤلف بيات مرعي مسرحية (الشوط السابع) لفرقة مسرح (علامات) وعرضت في مصر ضمن مهرجان (مسرح بلا انتاج) قدم المخرج العمل برؤية مغايرة متجاوزة حدود لواقع التقليدي فجاءت اللوحات التشكيلية المتواصلة مفعمة باللون والحركة والضوء بهدف خلق عوالم ميتافيزيقية غادرت التصوير المألوف ، إذ إن مجمل الصور والأحداث تقع ضمن البعد التخيلي للشخصية أي ان كل ما شاهده هو مجموعة من الازمات والعقد والنكبات التي تدور في رأس البطل ومعاناته من الخوف والرعب والإرهاب واستطاع المخرج في معالجته التي منحت المشاهد قيمة جمالية توازت مع تقنية الاداء الذي صور بشجاعة الحدث المأساوي بصيغة جمالية.

وقدمت كلية الفنون الجميلة مسرحية (اللوحة الاخيرة) من تأليف فخري امين وإخراج محمد اسماعيل وقدمت في مهرجان المونودراما الثاني في الموصل وفي (مهرجان فوضى منتظمة للفنون في اسطنبول) وهي عزف على قصة الموت والرصاص المكاني تحت سيطرة القوى الظلامية لثلاث سنوات وفترات القتل والتنكيل والتشريد بالإنسان العراقي عامة والمثقف خاصة ومحاولة طمس هويته النابضة بالحب والسلام جسدت اللوحة الاخيرة أعنف مراحل العنف والظلام والموت والاختناق المعرفي والفكري الذي عاشه الانسان في مدينة الموصل وخاصة الفنان الذي سعى لإخفاء منجزه التشكيلي خوفاً من المداهمة والملاحقة مما يضطره الى حرقه خوفاً من قوى ظلامية لا تؤمن سوى بالقتل والدماء.

وقدمت فرقة مسرح قرقوش ضمن مهرجان مسرح الشارع الثاني عرض (الى اشعار اخر) تأليف ابراهيم كولان وإخراج د. نشأت مبارك ، والمسرحية عرضت في الجانب الايمن من الموصل فوق انقاض (كنيسة الساعة) وهي تنتقد الوضع السائد في نينوى بصورة عامة والأحداث التي مرت على المدينة لتشمل مشاكل الارهاب والقتل والتهجير والسبي وما خلفه داعش الارهابي من خراب ودمار وأنقاض لا زالت ماثلة امام اعين الدولة التي ينخر جسدها الفساد.

هذه ابرز العروض التي قدمت في الموصل والتي تناولت موضوعة الارهاب على مستوى النص والمعالجة الاخراجية ، ولا تخلو العروض التي قدمت ضمن مهرجانات المونودراما الاول والثاني ومهرجان الشاعر الاول والثاني وكذلك العروض التي قدمت في معاهد الفنون الجميلة وكلية الفنون الجميلة من سطوة الارهاب بشكل مباشر او غير مباشر في النص والعرض.

الفصل الثالث

اجراءات البحث

يتناول هذا الفصل اجراءات البحث في تحديد مجتمعه وعينته لتحقيق هدف البحث (تمثلات الارهاب في مسرحية الصومعة).

مجتمع البحث:

هو العروض المسرحية التي قدمت في مدينة الموصل والتي تحمل في مضامينها تمثلات الارهاب وهي مجموعة من العروض شاهدها الباحث وساهم في اخراج بعضها ، وهي متطابقة مع مشكلة البحث وهدفه.

عينة البحث:

ت	المسرحية	المؤلف	المخرج	مكان العرض	السنة
١	الصومعة	محمد اسماعيل	محمد اسماعيل	اسطنبول	٢٠١٩/٨/٢٠

وقد تم اختيار العينة قصدياً لتوافقها مع هدف البحث.

وللأسباب التالية:

١- الباحث هو المؤلف والمخرج.

٢- تتفق مع المؤشرات التي خرج بها البحث.

٣- لقد تمثل الارهاب بأنواعه في النص والعرض.

اداة البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

مونودراما: الصومعة

تأليف وإخراج: محمد اسماعيل

تمثيل: مؤيد محمد

تقديم: كلية الفنون الجميلة

مكان العرض: موصل- اسطنبول في ٢٠/٨/ ٢٠١٩

تتحدث قصة الصومعة عن ازمة فنان عراقي من الموصل بقي في المدينة تحت رحمة قوى الظلام الداعشي وما عاناه من صراع نفسي وفكري واجتماعي لحين تحرير المدينة ونيله الحرية والانطلاق لبناء المستقبل مع اهله وأبناء بلده ومدينته ، يبدأ النص بدخول الممثل وهو يحمل مجموعة من الكتب ثم يتحدث عن مهنته كمثقف وفنان مسرحي يختص بالكتابة والإخراج والتمثيل (هنا سأقرأ وأمثل ما كتب وأخرج وألعب وأصرخ بأعلى صوتي ولا يسمعني من في العالم) وقد لجأ المؤلف الى التنويع باستعارة فنون اخرى منها الشعر والسرد والأمثلة والقصة ومقاطع الفيديو لمسرحيات سابقة يستشهد بها ليعزز الحدث والشخصية ، فضلاً عن ادائه بعض المقاطع لنصوص مونودرامية اخرى (اغنية القمر لتشيخوف ، أمادو لناهض الرمضاني ، وحلم في فنجان لعبد الرزاق الربيعي ، وجوف الحوت للرمضاني ايضا ، وأخيراً مجرد نفايات لقاسم مطرود) فهو يستحضر الشخصيات التي جسدها في الماضي وتتواشج مع احداث مسرحيته الحالية.

كل عمري احتجاج منذ سقطت من رحم امي

سجلت اول احتجاج على العالم

والآن احتج امامكم في هذا المسرح

احتج لأنني انا من رأى كل شيء

وتستمر الشخصية بتمثيل مواقف وأحداث وشخصيات عانت الفزع والخوف والإرهاب النفسي والفكري والمادي في أزمنة ماضية ونفس المكان للإشارة الى ان الارهاب كان حاضراً في العقود الماضية لكن بأقنعة وبأشكال اخرى وذلك لدفع عجلة الصراع عند الشخصية باتجاه الذروة

وخلق التوتر ، وهنا شحن النص بأشكال سردية وحوارية وثيمات نفسية وحلمية والسيرة الشخصية ليكون فضاء واسع لمجموعة من الاجناس الادبية لاسيما ان النص صيغ شعراً في بعض مقاطعه (لنر ما الجديد في العالم ، من سأل عنا في هذه العزلة الباهرة من تذكرنا من كتب الينا ، آه يا للخيبة فإن التواصل مقطوع والاتصال معدوم هنا كل شيء ممنوع ، ممنوع الخروج الدخول، الذهاب السفر ، ممنوع الشعر ، النثر ، ممنوع الفن، العلم الجمال ، باسم الله وباسم الدين ممنوع حتى التنزيل).

تشير الشخصية هنا الى عزلتها وغربتها وانقطاعها عن العالم وهيمنة الارهابي على كل حركاتها وتصرفاتها ، فتتكفئ الى ذاتها وواقعها المرير الثقيل.

ظلام يهبط ، ظلام يلف الكون
يتغلغل في الدم والقلب والوجه
ظلام يصهل ينعق يعوي في الازقة والدروب
يرسم خارطة الاشياء يسد الافق يدلف للدم

تستمر الاحداث بالتصاعد لترسم لوحة سوداء مظلمة وحلقة مفرغة تدور فيها الشخصية بانثيالاتها وعذاباتها وتداعياتها واستحضارها مشاهد وأحداث مضت ، وحاضراً مطوقاً بالأسوار (رباه أبصر اسوارا تنبت ، اسوار تعلو ، اسوار مرئية ولا مرئية ، رباه احلم بوطن بلا اسوار).

لقد عرفت شخصية الفنان المحاصر فنياً وفكرياً واجتماعياً افعال الارهاب من قتل وسبي وتدمير للبنى الحضارية وتهجير للناس ، فتطلق صرختها المدوية (ما الذي اقترفناه لنعاقب كل هذا العقاب المرير ، استباحوا كل شيء اوقفوا الزمن ، مزقوا كل مقدس ، ونحن لا نعرف اليمين من الشمال) الى ان يأتيها صوت من الخارج (اخرجوا من البيوت – سيروا امامنا ايها الجبناء) لكنها تبقى ولا تغادر صومعتها وتاريخها الفني والثقافي بانتظار لحظة الخلاص والحرية والانعتاق من براثن الارهاب الداعشي ، حتى يصل النص الى خروج جميع السكان من المدينة (خرجوا من الديار قبل بدا العام تحفهم سحابة من الطلقات من اول العام الى اخر العام) الى ان تأتي القوات الامنية معلنة تحرير المدينة من الارهاب وأفعاله المادية والفكرية لينتهي العرض مخلفاً اوراق النص مبعثرة ، والأرواح حائرة ، والنفوس مقفرة ، من كتبه من اخرجه من مثله من شاهده ، لكنهم نسوا رسم نهايته ، تركوها مفتوحة ، ولكم اختيار النهاية.

يبدأ عرض الصومعة بدخول الممثل يحمل مجموعة من الكتب ويتوشح قماشة بيضاء تتسربل من كتفيه الى قدميه للدلالة على (الكفن) الذي يرافقه في كل لحظة لوجود الارهاب الذي يحيط به من كل جنب يراقب حركاته وسكناته ، والممثل هنا يدخل بحالة من الاسترخاء النفسي والجسدي انسجاماً مع الدوافع الداخلية للشخصية وهي تحمل بين جنباتها صور الكبت الكتب والعزلة والخوف (كل حياتنا خوف ، خوف يسلمنا لخوف) ويظهر على خشبة المسرح مفردات بسيطة (منضدة ، شماعة ملابس ، قماشة بيضاء وجهاز العرض الرقمي) هذه المفردات هي التي صاغت بناء العرض فكرياً وجمالياً من خلال ترابط وحداتها الفنية ، كما يظهر مع دخول الممثل (شباك كبير) بحجم السايك الخلفي ، استثمره المخرج للدلالة على (الداخل والخارج) فتحول من كتلة مادية صماء الى نافذة مطلة على الخارج من خلال الاضاءة وتوظيف التقنيات البصرية الحديثة وذلك بظهور كتل من النيران خلف الشباك توحي بإشعال الارهابيين للبيوت القريبة ، وتزداد كتل النيران من خلف الشباك كلما احتدمت المعارك واقتربت من (الصومعة) ووظفه الممثل لمراقبة ما يجري في الخارج للدلالة على الانقطاع الفكري والثقافي عن العالم لثلاث سنوات الى ان يتهشم مع صوت مؤثر موسيقى ممتزج بطلقات من الجهات ، وهنا يقترب المخرج من انشغالات شاينا في رسم ابعاد ثلاثية للفضاء وتحريك الكتل الجامدة واقتحام المتلقي وإدخاله الى صومعة العرض واستفزازه.

ثم يستعرض الممثل مهاراته في تجسيد بعض الشخصيات من خلال قطع الاكسسوار وتغير الحالات والانفعالات والطبقات الصوتية التي تلاءم كل شخصية عبر الثنائية المتشكلة واستحضار الماضي في الحاضر وصولاً الى شخصيته الحالية في الصومعة التي تقف الان مع الزمن الحاضر ، وقدم صوراً فيديوية لمراحل تاريخية للشخصية عبر أزمنة مختلفة حيث استحضار الماضي وقراءته وإعادة تشكيله من جديد واستطاع الفنان (مؤيد محمد) من شد المتلقي منذ بداية العرض حتى نهايته بالرغم من صعوبة الدور وصعوبة تحولاته وانتقالاته السيكولوجية من شخصية الى اخرى ببراعة وإتقان فقد جسد (الفنان في محنته ، وشخصية الملك لير ، والصبي ، وفاسيلي في اغنية التم والجندي في امادو ، والشاعر ، والثائر الذي يثور على قوى القهر والظلام والرعب).

فضلاً عن ادائه بعض المقاطع غناءاً ، وعبر عن الانعتاق والسمو برقصة تعبيرية معبرة واستخدم قطعة القماش البيضاء للدلالة على الكفن تارة ، وشخصية حبيبة يراقصها ، وللاحتماء بها من الطلقات الصماء العمياء ، ووظفها في المشهد الاخير للدلالة على جثة يرميها امام

المتلقي ، وقد استعان الاخراج بمنهج برشت في توظيفه فلسفة التغريب وكسر الايهام ليكشف للمتلقي حقيقته ويضعه امام مصيره وجها لوجه وتقنية البناء الملحمي كمشاهد منفصلة وقطع الحدث والتركيز على الارضية الاجتماعية التي يتحرك فيها.

لقد تضافرت عناصر السينوغرافيا في (الصومعة) بتناسب الافعال الحسية والصوتية والحركية للشخصية ، فقد كان هناك توازن بين الفضاء الافتراضي الرقمي عبر تقنية الداتاشو وبين الفعل الحي للمثل مما اتاح له الاسترخاء والتوازن في فضاء العرض.

ولابد من الاشارة الى المؤثرات الموسيقية التي عبرت عن الانفعالات التي مرت بها الشخصية فهي الاخرى وظفت لتدعم الحدث الدرامي وتؤازره وتدفعه الى الامام ، فالإضاءة عبرت عن الاجواء المتعددة التي مرت بها الشخصية حسب انتقالاتها فقد كانت عنصراً مهماً ووظفت بمهارة وإتقان.

ان عرض الصومعة كشف الافعال الارهابية التي مورست بحق (مدينة وشعب) أعزل من خلال شخصية الفنان الأعزل وكل المثقفين والفنانين الذين وقع عليهم فعل الارهاب سواء كان جسدياً ونفسياً ومادياً ومعنوياً.

النتائج

١- حاول الاخراج الاستفادة من الطروحات الفنية للمخرجين العالميين (بسكاتور وبرشت وشاينا) في توظيف المقاطع البصرية والبناء الملحمي لتدعيم الحدث المسرحي.

٢- حققت التقنيات المسرحية (ديكور ، اضاءة ، ... الخ) وظيفتها الدلالية والفنية في فضح الافعال الارهابية وممارساته الاجرامية.

٣- لقد تم الكشف عن الخوف والعنف والرعب في العرض المسرحي من خلال ممارسات القوى الارهابية في الحياة الواقعية وانعكاساتها على عناصر العرض السمعية والبصرية والحركية.

٤- استخدمت الصور والوثائق والبيانات في العرض المسرحي الذي اسهم في فضح وادانة الارهاب وممارساته التعسفية المادية والمعنوية.

٥- استطاعت العروض التي قدمت في الموصل بعد التحرير من ايصال رسالة الى المجتمع المحلي والعالمي يدين الجرائم التي ارتكبها الارهاب.

التوصيات:

١- ضرورة تقديم اعمال مسرحية اخرى تستمد موضوعاتها من الجذور والمنابع المؤسسة للإرهاب في العراق.

المصادر

١- القرآن الكريم ، سورة البقرة: الاية: ٤٠.

٢- ابن منظور: لسان العرب ، المجلد الاول ، بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩٩.

٣- حسنين عطا الله:الارهاب البنيان القانوني للجريمة ، دار المطبوعات الجامعية ، ٢٠٠١.

٤- سخوس ، أحمد: اتجاهات في المسرح الاوربي المعاصر ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٧.

٥- بشيونيال ، باربرا: المسرح والتجريب ما بين النظرية والتطبيق ، تر: هناء عبد الفتاح ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٠.

٦- جميل ، حمداوي: الاخراج المسرحي ، الهيئة العربية للمسرح ، دراسات ١ ، الشارقة، ٢٠١١.

٧- عزيز ، محمد شكري: الارهاب الدولي والنظام العالمي ، دار النشر العربية ، ب. ت.

٨- العذاري ، طارق وسيف الدين عثمان: تمثلات الارهاب في العرض المسرحي العراقي ، فنون البصرة ، العدد (١٧) ، ٢٠١٨.

٩- الطيب ، ومظفر: المسرح والإرهاب ، مجلة بصريات ، اب ، ٢٠٠٤.

١٠- محمد اسماعيل: مونودراما الصومعة ، نص مسرحي ، ٢٠١٩.

١١- السنجري ، زيد: مسرحية عهد الاخوة ، جريدة الصحفي ، العدد (٣) ، ٢٠١٧.